Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالعملية النقدية عن حدودها المعقولة وأدخلوها بمبالغتهم هذه في حدود العلوم التي استعانوا بها ، وربما كان عند بعض النقاد توجس من استخدام العلوم المختلفة وتسليطها بتعمد وتنظيم على الأدب ، حتى لقد كتب فلوبير (١٨٦٩) إلى جورج صاند يقول لها : « كان الناقدون في زمن (لاهارب) نحويين ، وفي أيام (سنت بيف) وأيام (تين) مؤرخين فمتى يصبحون فنانين حقاً وصدقاً »[١٠٨] ، وان كنا لا نشك في أن كلاً من سنت بيف وتين قد أسدى إلى النقد يداً بيضاء ، وعبارة فلوبير السالفة تذكرنا بعبارة مماثلة للجاحظ حين قال « طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه ، فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والأنساب ، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب »[١٠٩] .

ومؤدى كلام فلوبير والجاحظ جميعاً أن المعايير النقدية التي ينصب الناقد منها ميزاناً للأعمال الأدبية لا بد أن تتأثر تأثراً مباشراً بثقافته العامة والخاصة سواء أأراد الناقد أم لم يرد ، وشعر أم لم يشعر ، فثقافة الناقد عنصر بارز من العناصر التي تتألف منها شخصيته ، وربما أدى ذلك إلى نتيجة خطيرة هي ألا يكون هناك « معيار للمعايير النقدية » ، على أننا لا نريد أن نضيق على النقاد بالحديث عن « معيار المعايير » هذا ، لأننا نرى أنه لا بد أن يكون مَرِناً شمولياً بشرط ألا تؤدي مرونته وشموليته إلى فوضى فيدخل علينا كل ذي علم بعلمه ، ويسلّط أضواء علمه على الأدب ، ثم يسمي فعله هذا نقداً .

وأعتقد أن « معيار المعايير » الذي يمثل جوهر النقد الأدبي هو « الكشف عن جوانب النضج الفني في النتاج الأدبي وتمييزها مما سواها من طريق الشرح والتعليل ، ثم يأتي بعد ذلك الحكم العام عليها »[١١٠].

فكل نشاط فكري يستهدف هذا الهدف ويتغيّا هذه الغاية هو نشاط نقدي ، سواء أكان هذا النشاط في ظل الفلسفة أم في ظل علم الاجتماع أو علم